عبد الكريم كاصد

حين ينقر الشاعر على أبواب القلب

طالب عبد العزيز

حين قرأت كتاب عبد الكريم كاصد (النقر على أبواب الطفولة) كتابه الثاني، قلت في سري: أصبت الشعرَ والشاعرَ معاً ،هذا الكتاب الصغير ،الذي تزينه رسوماتُ الفنان فيصل لعيبي ، ملأني شعراً وحياة، فصرت أحمله في كل حقيبة ،حتى كان السفر يعني عندي حمل الكتاب أولا ،ومن ثم الثياب والأمتعة والعطور والأشياء ،صارت قصائدُه فراشات تتقافز أمامي في كل حديث عن الشعر،

ويوما إثر آخر كان (النقرُ على أبواب الطفولة) يغيرُ عليّ حياتي، حياة صبيّ يلعب بالكَلمات ، فيغيرها أحلاما وبراءة وطفولات ،صارت أشجارُ بستاننا أكثرَ خضرة ،ومع قصائده تدفقت أنهارُ أبي الكثيرة،غدت أعذَبَ وأرقّ وأجمل،ومعه صرت ألمَسُ العذوقَ والعصافير والغيمات ،وأسيرُ خلَف طواشات التمر في حمدان والسراجي ويوسفان ، أتنشق عطرَ ثيابهن الملونة، صارت الجراديغ مكانا للبهجة والفرح ، ومع (حمزيّة) التي يرقص الدينار على صدرها، كنت أردد (قلبي الدينار الراعش في صدرك يا حمزية)، وفي مآتم النسوة الفقيرة آنذاك ،أيام المحرّم أقول : (أماه دعيني آكل خبزَ العباس)، وكلما مررت بدكاكين بيع الأثاث وغرف النوم الجديدة، شممت رائحة الخشب الهندي المصبوغ توا، وتحسست ثياب العرسان البيض ،مرددا : (هل يتزوج هذه الأيام الناس..)؟ ولا أقول كثيرا إذا قلت : بلغ حبي للكتاب هذا، أني لا أحصي اليومَ عدد النُسخ التي أهديتها للأصدقاء ، حتى خلت مكتبتي منه، لأني كلما ابتعت نسخة منه، وجدتني مضطرا لإهدائها .

وفي مطلع التسعينات، من القرن الماضي ، حين ضرب الحصارُ أطنابه على بطون الناس، وصار الخبز فرضا والشعر نفلا، والكتاب ترفا فكريا ولغة صعبة ،اضطرتني الحياة إلى العمل نجّارا ،فكنتُ أنشئ للميسورين غرف النوم والأرائك الوثيرة ، وللفقراء أصلحُ الأسرّة ومحامل الأمتعة والشبابيك ،وفي بيت المحامي علي احمد الجاسم ، وبينما أنا أصلح له ما تقادم من أثاث بيته،وما تهالك من رفوف مكتبته، وفي درج قريب من الأرض، عثرتُ على رزم من كتابي الأثير (النقر على أبواب الطفولة) لا يمكنني وصفُ ما أنا فيه ساعتها، فقد هالني منظرُ الكتاب مصفوفا، أنيقا، تزينه ثانية لوحاتُ الفنان فيصل لعيبي ،وبعد فراغي من العمل استعدت مع المحامي ،الصديق فيما (علي الجاسم) حبي للكتاب، قصصت عليه رواية ما كنت فيه ،ومنه عرفت أن الشاعرَ أستودعه لديه ،قبل مغادرته المدينة مطرودا منها لبادية السماوة ،أو أنه أحتفظ به لحين من الدهر ،ثم طال عليه الأمد ،أو ما شابه ذلك، ولا أعلم ما إذا كان الكتابُ قد أربك حياة المحامي الصديق حينئذ ،لكني أعرف أني غرفت منه نسخا كثيرة ،وما زلتُ مهديها من أحب،حتى خلت مكتبتي منه ثانية .

ثم غاب الكتاب بغياب الشاعر الطويل في شرق وغرب الأمصار ،وحين قرأنا (الرحيل عبر بادية السماوة) علمنا أن الشاعر كان يستبدل المنفى بالمنفى، وإذا كانت إقامة عبد الكريم كاصد الطويلة في لندن قد أضاءت علينا تأمله شاعرا وإنسانا قبل العام ٢٠٠٣ ، فإن زياراته الأخيرة للمدينة السنواتِ هذه، تمكننا منَ معاينته أكثر، ولأني لا أحسن الحديث في الشعر باحثا أو ناقدا، فسأتركُ الشعر لمن يتصدى له ،لكني أجد أن تجربة عبد الكريم الشعرية دخلت الشعر العربي منفردة بذاتها، فهي لم تنتظم في جيل معين، ولم تتشاكل مع تجربة شعرية أخرى، كانت نسيج بعضها، وإذا وجدنا في تجارب الأجيال العراقية من نصنفهم ضمن قائمة ما، فإننا لن نعثر على قرين لتجربته ، وإذا أخذنا كتابه (النقر على أبواب الطفولة) ،أو (وردة البيكاجي) أو (الزهيريات) على سبيل المثال ، فستكون لنا تجربةٌ كتابيةٌ خاصة ، تجربة مغايرة أخرى، هو متحول بنفسه ، بعيد عن الآخرين.

وإذا كان الشاعر قد قدم لنا تجربة شعرية فريدة ،خاصة، عبر كتبه الشعرية الكثيرة ، فقد قدم لنا واحدا من أهم شعراء القرن العشرين ، حين ترجم قصيدة (أنا باز) لـ (سان جون بيرس)، التي نشرتها مجلة الأديب المعاصر مطلع السبعينات ،أي قبل ترجمة أدونيس وعلي اللواتي والترجمات التي تلتها بأكثر من عقد من الزمن، وحين يراجع المترجمون نصوص بيرس المنقولة للعربية اليوم ، فهم يُجمعون على أن ترجمة عبد الكريم هي الأفضل .

وبعيدا عن عبد الكريم كاصد شاعرا ، لا أدعي بأني رأيته قبل خروجه مضطرا من العراق عام ٧٧ ، لكني لم أسمع من معارفه من قال عنه ،بأنه لم يكن منسجما مع ذاته إنسانا وشاعرا، لم تترك روحه الكبيرة لأحد فرصة التقول عليه ،ترى كيف وُفّقَ الشاعرُ لكي يكون شاعرا متآلفا مع روحه حد العظم، هذا نظام صعب، بحسب علمي ، وسط تعدد وتحول الأزمنة والأمكنة،في المسار الإنساني ، لأنّ المُتغيرَ يفرض قانونه دائما،بل تزحزح المياه الكثيرَ من مواطن الرقة والعذوبة في الجدول الهادئ ،وتجف وتتقعر في وجوهنا مرايا كثيرة ،الوجود الحرُّ في الأزمنة يتيح للبعض بأن يكون غير ما كان عليه هناك ،المال والسلطة والسفر والملابس الفاخرة تحوّلٌ وتغييرٌ، وإذا كان الشاعر أشد الناس عرضة للاضطراب هذا ، لماذا لم يتحول عبد الكريم كاصد ،الشاعر؟ وقد تحولت الأكوان من حوله، كثيرون هاجروا معه لأوربا ، مثقفون ،شعراء ،سياسيون، أدعياءُ علم، وغيرهم ،تغيروا فصاروا تجار ثقافةً،ولم يتغيروا فصاروا قساة ومناكدين،كأنهم ما هاجروا .

حين طرقت معه باب منزل أحد الأصدقاء في لندن قبل أكثر من ستة أعوام، كان يحمل باقة ورد، لم يحمل الشاعر فاكهة أو حلوى ،حمل وردا ابتاعه من صبية المتجر في (جاسرلنك) ،حيث يقيم ،دخلنا البيت ،كانت قامته تحف سماء المنزل ،وابتسامته تترجم مشاعره ،وقوفه وتلعثم البهجة على محياه ملأت المنزل الصغير حبورا ،كان يشفُّ سعادة وألقا ، لم أر جبينا يتفصد مهابة ومحبة كمثل جبينه وقتئذ، قلت في سري، أنا رجل لم أتلق بعد درسا كافيا في الصدق والمودة ،لم اعتد زيارة صديق صحبة باقة ورد، كان عبد الكريم الشاعر منسجما ،واثقا من طهر وجدانه وصدق سريرته .

وفي المدينة الكبيرة الساحرة، أيقنت أن البعضَ يأتيها ليتطهر فيخفق، لأنه جاءها أعرج دميما ، وسخ القلب، ملوث الروح.. أما عبد الكريم كاصد فقد دخل لندن شاعرا،باسقا ،عفيفا ،محييا .. لتزدان به ،وفي الغرفة التي تُطلُّ على الشارع،الذي يلي الزقاق، حيث منزل جارلز ديكنز، كما قال لي ، هناك خزانة ملابس وسرير شاغر، يمكنك أن تنام فيه ، قال ذلك واختفى في المنزل ،يعلّم أبنه ما عجز عن فهمه من كلام العرب ،تركني نائما قبل أن توقظني أصوات المارة المسرعين .

ولكي أرد بعض ما في رقبتي من دين للشاعر الذي أحب ،فقد سجلت بصوتي قصائد كتابه (الزهيريات) كلها،وهي تبث إلى الآن ،مساء كل يوم ،في راديو شط العرب، حيث كنت أعمل، قبل سنين أربع ،لكني إلى اليوم أتلقى مكالمات تقول لي لمن القصائد هذه؟ فأقول هي له، هو عبد الكريم كاصد، الشاعر الكبير ،الذي علمني أن تعاقب الأزمنة ، وتغير الأمكنة لا يضيران الشاعر ..

البرج العاجي

فوزي كريم

كان الثغاء الرتيب قرين حزني

هذا كتاب بعنوان "تاريخ ووقائع كتاب الأغاني"، صدر عن دار Sheep Meadow للشاعر الإيطالي أمبريتو سابا (١٨٨٣-١٩٥٧). الغريب والجديد في الكتاب أن سابا كتبه سيرة نقدية عن الشاعر سابا. كتبه دون أن يشير إلى أنه كتبه عن نفسه. لقد تقمص شخص ناقد موضوعي في دراسة وتأمل شاعر آخر يكن له احتراماً وإعجاباً كبيرين (كم يحن الشاعر إلى جرأة كهذه!). وهذا المنحى ليس غريباً على سابا، فشعره ونثره وحياته تنضح جميعاً بمذاق الكيان الشعري الغريب والمتعارض. فقد ولد من أم يهودية وأب مسيحي تخلّى عنه قبل مولده. في مرحلة المراهقة كان يقلد صوت الشاعر الكلاسيكي " الكبير ليوباردي، ولكنه كان أيضاً عازفاً على الفايولين في فرقة موسيقية، وينتمي إلى تجمعات من الفنانين التشكيليين، والكتاب والصحفيين ذوي الاتجاه الاشتراكي .

كان يشعر بهذه الفرادة المتوحدة. في إحدى قصائده يكتب لأمه: "".. أعتقد بأن مهدي صُنع من خشب مختلف/ وان روحي تواقة لعلامة لا يتوق إليها أحد من أصدقائي". وكان لا يُخفي عداءً مستحكماً للمرأة: ""لا أؤمن بالمرأة. وبهذا الرأي لا أهدف إلى الإهانة/ ولكن إذا ما كان للرجل عدو يُذكر/ فهو دائماً المرأة...". على إن نظريات العداء للمرأة كانت منتشرة آنذاك بفعل كتابات الفيلسوف أوتووييننغر خاصة في كتابه "الجنس والشخصية"١٩٠٣، والتي أصبحت موضة رائجة بين مثقفي الطبقة الوسطى آنذاك. صار سابا في تلك المرحلة بالغ التأثر بوييننغر، نيتشة وفرويد. ولولا هؤلاء المفكرين لما تمتع سابا بصورة "الشاعر الصادق" التي اتصف بها.

عاش حياة شاعر جوال لسنوات عدة، ولم يكن يشعر مطلقاً، كإنسان وكشاعر، بالتوافق والاستقرار في أي مكان يحل فيه. واسم "سابا" مستعار اتخذه بعد أن تقلب في أسماء مستعارة عدة.فهو أمبيرتو بولي في الأصل، ثم أمبيرتو شوبان بولي، ثم أمبيرتودامونتريال، ثم أمبيرتو لوبي، وأخيراً استقر على اسم أمبيرتو سابا.

وبالرغم من هذا السياق الطليق الفالت إلا أن سابا كان يؤكد بأن للشاعر عادة قاعدتين اثنتين ضروريتين: امتحان الذات الدائم، والاذعان للموروث الشعري. وهذا الاذعان للموروث الشعري هو الذي ميز سابا عن أقرانه من حداثيي المرحلة. فإذا كان الشاعر أونغاريتي مأخوذ بتصفية لغته من الزوائد لإيصالها إلى الحد الأدنى مما هو جوهري، ومحاولة شحذ نصه الشعري إلى درجة الغموض المتأصل في نسق الكلمات الصافية، وإذا كان مونتالي ينغم قصيدته دون قالب وزني، ويحطم سياقها الإيقاعي حيث يشاء معتمداً على الصورة وعلى التورية، فإن سابا استغرق عميقاً في أنغام وقوافي الموروث الشعري في مغامرة بدت جديدة، ووجهاً من أوجه الحداثة. عند وفاته ١٩٥٧ صار يُعتبر أحد الثلاثة الكبار من شعراء إيطاليا القرن العشرين إلى جانب أونغاريتي، مونتالي. ولكنه دونهم لا ينتسب لأي تيار أو مدرسة، في مرحلة كانت تضج بالتيارات والمدارس الشعرية. حين سأله أحد أصدقائه: "لأي حزب تنتمي؟ أجاب: "إلى حزب التحليل النفسي." بروح مداعبة.

ولد سابا في مدينة "تريستة" ذات الميناء الكبير في الشمال الشرقي من إيطاليا. مؤلف لأكثر من ١٥ كتاباً شعرياً وآلاف من صفحات النثر، على أن سابا عُرف بكتابه الشعري الجامع والأكثر شهرة :"كتاب الأغاني"، الذي يشبه كتاب "الكانتوس" لإزرا باوند، أو كتاب "أوراق العشب" للأمريكي ويتمان. لأنه كان يضيف إليه، ويعيد نشره على الناس في طبعات عدة. ولقد وضع كتابه السيري النقدي عن نفسه باعتباره "تاريخاً ووقائع" على هامش هذا الديوان.

كان سابا شاعر البساطة الصعبة والسهل الممتنع. كتب مونتالي عن إحدى مجاميعه عام ١٩٢٦: "هنا نرى أكثر الخصائص التي يتمتع بها شعر سابا المبكر أصالة، فالموسيقى الشعرية مجردة تقريباً من اللدانة والارتياح العالي، ابتهاج في الأداء الذي يبدو مألوفاً، ولكنه في حقيقته كثير الغرابة: كلمات تتلاشى في الصفحة حالما يُطلق سراحها، من أجل أن تخلق خلفية لا يمكن وصفها".

إلى ماعز تحدثتُ.
كانت وحيدة في المرعى، ومحاصرة.
مُتخمة بالعشب، ومنقوعة بالماء، تثغو.
كان الثغاء الرتيب قرين حزني.
أجبت مازحاً أول الأمر، ولكن الحزن أبدي،
لا صوت له ولا يتغير،
سمعته عويلاً لماعز متوحد.
في ماعز بوجه سامي،
سمعت كل ألم آخر يُعول، كل حياة أخرى.

محطات ثقافية

جائزة الشيخ زايد للكتاب بتسميات جديدة

أعلنت جائزة الشيخ زايد للكتاب عن فتح باب الترشح لفروعها في دورتها السابعة ٢٠١٢ - ٢٠١٣، ابتداء من الثاني والعشرين من شهر نيسان الجاري ولغاية الثلاثين من سبتمبر القادم.

وكانت الجائزة قد أعلنت في وقت سابق من هذا العام عن تحديث مسميات بعض فروعها وإضافة فرع جديد بغية مواكبة مستجدات الواقع الثقافي وتطورات العلاقة بين المعرفة والمجتمع، وأهمية أن يأخذ الكتاب دوره الفاعل في المجتمع.

وأوضح الدكتور علي بن تميم، أمين عام جائزة الشيخ زايد للكتاب، أن الجائزة توصّلت إلى ضرورة الإبقاء على فروعها التسعة من حيث العدد بدمج فرعين هما: "جائزة الشَّيخ زايد للنشر والتوزيع" و"جائزة الشَّيخ زايد لأفضل تقنية في المجال الثقافي" في فرع جديد هو: "جائزة الشَّيخ زايد للنشر والتقنيات الثقافية"، والذي "يُمنح لدور النشر والتوزيع الورقية، ولمشاريع النشر والتوزيع والإنتاج الثقافي؛ الرقمية، والبصرية، والسمعية، سواء أكانت ملكيتها الفكرية تابعة لأفراد أم مؤسسات".

وقال بن تميم: "إن مسمى وتوصيف جائزة الشَّيخ زايد للفنون قد أجري عليهما بعض التعديل ليصبح المسمى المستحدث هو: "جائزة الشَّيخ زايد للفنون والدراسات النَّقدية"، ويشمل "دراسات النَّقد التشكيلي، والنَّقد السينمائي، والنَّقد الموسيقي، والنَّقد المسرحي، ودراسات فنون الصورة، والعمارة، والخط العربي، والنحت، والآثار التاريخية، والفنون الشَّعبية أو الفلكلورية، ودراسات النَّقد السَّردي، والنَّقد الشِّعري، وتاريخ الأدب ونظرياته".

استعادة لوحة مسروقة لديجا

أعلن الادعاء في مدينة زوريخ السويسرية أن السلطات استعادت آخر لوحة من أربع لوحات سرقت خلال عملية سطو مسلح على متحف سويسري قبل أربعة أعوام، وهي لوحة للمصور الفرنسي ادجار ديجا الذي يعتبر من مؤسسي المدرسة الانطباعية.

وأعيدت لوحة ديجا منذ بضعة أشهر لكن نبأ استعادتها حجب حتى لا يؤثر سلبا على جهود استعادة لوحة ثانية من الأربعة كانت ما تزال مفقودة وقت العثور على لوحة ديجا.

وفي أوائل الشهر الجاري أعلنت الشرطة الصربية أنها استعادت لوحة المصور الفرنسي بول سيزان واسمها (الصبي ذو الصديرية الحمراء) التي تقدر بنحو ١٠٩ ملايين دولار، وكانت أشهر لوحة ضمن اللوحات الأربع التي سرقت من المتحف السويسري. وقدر ثمن اللوحات المسروقة بما يصل إلى ١٦٣ مليون دولار.

الصورة والخطاب البصري في مؤسسة الحوار الإنساني

تضيّف مؤسسة الحوار الإنساني في لندن الفنان القدير حسين السكافي في محاضرة بعنوان (الصورة والخطاب البصري)، يتناول فيها أهمية وجود الصورة، وكيف أصبحت تمثل الصدارة في الخطاب البصري ، حتى أن الإنسان أصبح يعيش (عصر الصورة)، إذ اجتاحت الكثير من مجالات حياته، ودخلت في جزئيات عيشه، وامتلكت سلطة لا يستهان بها في السيطرة عليه إلى حد ما. كما سيتطرق السكافي إلى تعدد الآراء والنظريات في ماهية هذه الصورة وآلياتها في الوصول إلى وعي الإنسان، وكيفية عملها في تشكيل هذا الوعي.

والسكافي درس التصوير في لندن وهو عضو في الجمعية العراقية للتصوير الفوتوغرافي منذ ١٩٧٨، كما أنه عضو جمعية الفنانين التشكيليين في بريطانيا، وقد تعامل مع فن الصورة والتصوير لما يزيد على الثلاثين عاماً.

متابعة

في قاعة مدارات للفنون

المدفعي يفلسف العلاقة بين العمارة والشعر

محمود النمر

احتفت مجموعة دار الهنا للعمارة والفنون بالتعاون مع مؤسسة اتجاهات الثقافية بالمعماري د. قحطان المدفعي، بمناسبة صدور كاتبه "فكر أبي نؤاس" على قاعة مدارات للفنون.

مدير قاعة مدارات التشكيلي حسن النصار رحب بالجميع، واستدعى لؤي مجيد العاني رئيس مجموعة دار الهنا ليدير الجلسة، وقد أشار بعد الاحتفاء بالمعمار قحطان المدفعي الذي كرس حياته في خدمة الجمال والمثل العليا، إلى أنه اليوم ينجز انجازا إضافيا ضمن سلسلة الإنجازات التي كرسها بصدور كتابه الجديد في فن الشعر.

تعودنا من المعماري بشكل عام عدم تدوين أي فكر يبتعد عن تسجيل أفكاره، وهو دائما يكون عملياً لذلك تنقصنا المعلومات الكثيرة عن فن العمارة ، وخصوصا العمارة العراقية، لقد تميز د.قحطان المدفعي بشكل آخر، وخاصة بتصاميمه المنتشرة في أرجاء بغداد وفي العراق عموما، إضافة إلى المساهمات الأدبية والإصدارات الشعرية، كذلك مساهماته في مجال الفن التشكيلي وهو غني عن التعريف.

بهذه الكلمات قدّم لؤي مجيد العاني المحتفى به واصفا إياه انه احد أعمدة العراق في الفن المعماري والتشكيل واللغة. د. علي ثويني أشار إلى هذه الأسماء المعمارية ووصفها بشيوخ الفن المعماري الذين منهم، قحطان المدفعي الذي جمع بين العمارة والشعر بالرغم من تداخل الموضوعين، معللا أن هناك إيحاءات مشتركة تجمع بين العمارة والشعر، فاللغة تبنى بمجموعة كلمات ورموز تجمع وتنظم وتنتج جملا ومعاني ،مثل ما موجود بالعمارة. لكن يبقى الشعر أكثر حسا وهو اقرب إلى الجانب الفني المعماري .

وقال ثويني: إن العمارة فيها الجانب الصلب الملموس أكثر من الحسي .

فإن العمارة تصنف من فنون المكان (أم الشعر) فهي من فنون الزمان ،لذلك اهتم البدوي بالشعر أكثر من الحضري، فهو يجسد العمارة لأنها جزء من تكوينات المدينة، بينما البدوي يتنقل من مكانٍ إلى آخر، لذلك أصبح الشعر عنده ملازما له ، فالشعر كان بالتصنيف مثل الموسيقى فهو من فنون الزمان والعمارة من فنون المكان .

فيما أكد د. عقيل مهدي على فكر وإبداع المدفعي بالوعي والفن ومن خلال هذا الكتاب المعني بفكر أبي نؤاس الذي اتهم بالفحش وقد أشار احد العلماء إلى أن أبي نؤاس لولا الفحش المنشور عنه لاتخذه منه مسندا له .

وأشار مهدي الى قدرة المدفعي الذي تقرّب من منطقة الشعر بوصفها احدى المناطق القريبة من الفن المعماري ، ولديه قدرة على ان يحول هذه القدرة الجامدة كما يقال إلى واقع ملموس ، ففي هذا متعة مثلما هي القدرة الموجودة في شخصية أبي نؤاس الذي كسر القيود في تحول قدرة الشعر وتضمينه بالأشكال الجديدة ،وحث الآخرين على اغتنام الفرص في العيش لإيمانه المطلق بالزوال ، وهذا الكتاب هو حفر اركيولوجي فيه نمط من الهندسة المعمارية الكبيرة وقد ذهب المدفعي إلى مبدع كبير كان عالما بثقافة عصره ،مثلما هو الآن يعيد التناص بهذه الشخصية الفذة .

وتحدث المدفعي الذي كان يتكلم بصعوبة متقدما بشكره إلى كل الذين حضروا هذا الحفل ثم قرأ من شعر أبي نؤاس :

إن أيارب وجه في التراب عتيقُ – ويا ربَ حسن في الترابً رقيقُ
ويا ربِ حزن في التراب ونجد – ويا رب رأي في الترابً وثيقُ

وأوضح أن شخص أبي نؤاس ليس ذاك الماجن فقط ولكن هو ذلك الفيلسوف المتبحر والمحدث في الفن الشعري .

بعد ذلك تم توقيع الكتاب وتوزيعه على الحضور النخبوي المختص بالشعر والعمارة .